الفصل العشرون

في ليلة شتاء باردة عاد أحمد إلى البيت مبكرا يبدو عليه علائم الشرب أقترب مني ونظرات الشهوة واضحة في عينيه لم تكن ذاتها تلك النظرات التي أخذت مني لبي وجعلتني أنسى كرهي للرجال وأعتبره هو الرجل الوحيد الحقيقي في هذا الكون، اليوم تأكدت أنها مجرد ترهات، هجم علىّ كذئب مفترس تراجعت مذعورة منه رغم شوقي الكبير لاحتضان حبيبي ولكن لم يكن هذا حبيبي..! ما كان أمامي هو ذئب بملامح رجل، تراجعت مثل أنثى أسد جارحة شعرت حين أراد أن يقبلني بحالة غثيان، حاول أحمد جاهدا أن يأخذني بين ذراعيه ولكن محاولاته كانت دون جدوى،

obeikandl.com

قلبي كان داخل حصن هو من وضع سياجه بحالته تلك، تفجرت عندي أحزان عتيقة تراءت لي تلك الأشباح التي قتلت أنسانيتي منذ الطفولة ذاك القريب وزوج الأم ومحمود فجأة وجدته ذلك الرجل الذي احتل تضاريس جسدي ولوثها بأنفاسه البغيضة.

-حياة ما بك هل فقدت ملامستي لك سحرها أم أنك بحاجة لعلاج من جديد، لقد اتعبتينى كثيرا في الفترة الأولى حتى عدتي إنسانة طبيعية دون عقد، تحملت منك الكثير وأخذت تعاليم من أكثر من طبيب حتى تعودين إنسانة سوية دون أن أجرح مشاعرك هل عدتي إلى ما كنت عليه.. شدني.. بقوة إلى السرير كنت أبكي بحرقة لم ير إلا شهوته ولم يلحظ دموعي فهو الآن بنظري وحش بلا إحساس، تاهت مني ملامسته الرقيقة بات جائعًا لجسدي، يلتهمني فى نهم وحين انتهى تركني ونام، تناولت حبوبي المهدئة تلفني الغربة والحزن كرهت ذاك الجسد من جديد وركضت إلى الحمام أسكب الماء البارد على جسدي وأمحو آثار رجل تهجم عليّ لا أعرفه أفاق أحمد نشيطا يبتسم يقول:

-كيف حالك يا حلوتي..؟

اكتفيت بابتسامة

-استعدي نحتسي القهوة معا ونذهب إلى الشركة.

- سنذهب معا؟!

- أكيد حبيبتي سنذهب معا..

«كان لطيفا جدا معي لدرجة أني كدت أنسى ما حدث منه الليلة الماضية انتهى اليوم وعدنا إلى المنزل»

كان قدبدأ جسدي يتعب من تناول حبوب المهدئة التي تعودت عليها ولم أعد أستطيع الاستغناء عنها ولم أعد أهتم بنفسي كان يتململ كلما رآني، فأنا إما نائمة أو منكبة على دفتري أكتب، وعلائم الإرهاق بادية على وجهي، وكان دائم العتب أنت لم تعودي تهتمين بي وهذه الحبوب التي تأخذينها جعلتك شبه مجنونة تعبت من هذه الحياة، ومللت وبقينا على هذه الحالة فترة طويلة.. في أحد الأيام كان مرهقا بقي في البيت وذهبت أنا إلى الشركة وفي تلك الفترة كانت حليمة قد تركت العمل بسبب مرض أصابها.

وأنا في المكتب أصابني دوار وصداع حاد في رأسي، كان قد تكرر مرارًا قبل الآن ولكني لم أهتم ولم أذهب لزيارة الطبيب، وكان في كل مرة يكون ألمه أكثر من ذي قبل وفي كل مرة أزيد جرعة الحبوب التي أتناولها، عدت إلى المنزل فتحت الباب حتى لا أزعج أحمد إن كان نائما ودخلت للمطبخ لأحضر كوب عصير وذهبت إلى الشرفة بهدوء أشرب العصير وإذ بي أسمع صوت ضحك من الداخل

obeikandi.com

قلت بصوت عالٍ مستحيل لابد أن هذه هلوسة من الحبوب التي أتناولها، أصبحت أتخيل أمورا لا وجود لها ولكن تكرار الصوت أكد لي أن الصوت الذي سمعته ليس من تأثير الحبوب إنه من داخل غرفة النوم، كان أحمد في سريري مع تلك الفتاة التي رأيتها معه في السيارة. كلاهما على السرير بعري كامل لم أتكلم أصابتني نوبة من الجنون خرجت من البيت أركض في الشارع تذكرت بأن هناك الكثيرين أريد قتلهم وذهبت إلى ذات المكان الذي كان يعمل فيه زوج أمي وأنا أقول لابد من قتله وبعدها لم أصحو إلا وأنا في المستشفى لا أعلم من أسعفني.

«حسان» أمسك الدفتر قبله بكى بين صفحاته بلل الورق بدموعه أي عذاب تعيشين فيه يا امرأة لقد كنت وقودا لشيطان أحمق حول جسدك إلى رماد، قتل جمال الحياة فيك، واستلقى حسان على فراشه بيده سيجارته شارد الذهن، في داخله شيء يصرخ من الألم بقي ساعات ينتظر حتى تشرق شمس الصباح يريد الذهاب إلى حياة يقبلها وينتشلها من أحزانها ولعلها تخبره ماذا حدث بعد ذلك أين زوجها هل طلقها؟! هل سافر؟!كانت أمنيته الوحيدة أن تكون حرة الآن إنه يريدها رفيقة لروحه لا لجسده فهو أحب فيها الروح

نام حسان وهو يردد أحبك حياة وفي الصباح ذهب إليها ودخل غرفة العناية وفي عينيه دمع وخوف لا يخلوان من الشوق والحزن، اقترب منها وجلس بقربها، أمسك يدها أراد التحدث معها ناداها بصوت يكاد يختنق، حياة حبيبتي أنا حسان وشد على يدها بحنان فائق، نظر إلى وجهها الجميل وعينيها قبلها من جبينها فوجدها باردة فقبلها من وجنتيها ابتلت شفتاه بدمعها

حياة تسمعينني أرجوك كوني قوية كما عرفتك، كلانا ذاق طعم الظلم أنا وحدي من يعرف كم عانيتي ها أنا اليوم عدت إليك، سامحيني أرجوك، ما زال معنا الوقت الكافي لنعيش ما فاتنا.. حياة أتسمعينني..

ارتبك حسان وهو يمسك يدها، برودة كفيها تزداد، خرج مسرعًا نادى الطبيب وهو في حالة رعب

دخل الطبيب الغرفة وحياة على ماهي عليه بدون حراك ولمعة متجمدة على وجنتيها، أمسك الطبيب يدها دس نبضها فتح عينيها وضع السماعة على قلبها لم يسمع دقاته لقد توقف قلبها عن النبض أمسك الغطاء وغطى وجه حياة

لم يستوعب حسان ما حدث بل هو لا يريد أن يستوعب التفت إليه الطبيب وقال «إنا لله وإنا إليه راجعون». لقد رحلت

obeikandl.com

إلى بارئها «ارتمى حسان فوقها باكيا وهو يحدثها:لا ألم أقل لك من أجلك أعيش. أجلسي.. قولي لهم أنك لم تموتي.دكتور إنها في غيبوبة أنا متأكد.طلب منه الطبيب أن يخرج من الغرفة وأطفئت الأضواء أمسك الدفتر وتمتم حياة الهشاشة هي أنثاك الرماد التي كبرت لتقتات كل أحلامك.أخذه بين ضلوعه وقبل خروجه من الغرفة قبلها ودموعه قد بللت وجهها...هاهي ابتساماتك تحملك كما أنت الآن إلى غيمة رماد عبر الفضاء الشاسع المترامى، كنت الحلم وما حييت يا أنثى الرماد.

النهاية

obeikandl.com